مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 10 / العـــدد: 02 (2023)، ص: 162-182

# إسهامات أحمد بن نصر الداودي الحديثية والفقهية

# Contributions of Ahmad bin Nasr Al-Dawoodi in Hadith and Jurisprudence

**الباحثة: رقية رقاز[1]**

**[1]كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 01rekarega1996@gmail.com**

تاريخ الاستلام: 2023/05/04 تاريخ القبول: 05/12/ 2023 تاريخ النشر: 04/06/ 2023

**الملخص**

كان للشيخ أحمد بن نصر الداودي المسيلي (402هـ) إسهامات جليلة في المعرفة الإسلامية، اتسمت بالأصالة والإبداع، وصار إنتاجه العلمي مرجعا للمعرفة في بابه. لكن هذا الزخم المعرفي ظل خفيا إلى أن صار مجهولا عند الأجيال الحديثة. وتكمن أهمية العمل في تناوله مؤلَّفين مشهورين للشيخ وبالغي الأهمية في الفقه والحديث وهما: النصيحة في شرح البخاري، الأموال؛ وفي هذا خدمة لتراثنا الوطني وإحياؤه ورد اعتبار عالم من علماء الجزائر.

سأحاول في دراستي تسليط الضوء على جهود الشيخ وإماطة اللثام عن تأثيره العلمي والمعرفي من خلال الإجابة عن التساؤل الآتي: ما هي جوانب التميز في الإنتاج العلمي لأحمد بن نصر الداودي ومستويات تأثيرها في تاريخ المعرفة الإسلامية في قارة إفريقيا؟

وذلك بهدف فتح الباب أمام الباحثين لإنجاز المذكرات والأطروحات من صلب التراث الوطني، وجاء عملي وفق المنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: الداودي، الفقه المالكي، الحديث، الصحيح الجامع، البخاري.

**Abstract** :

Algerian scholars such as Al-Daoudi Al-Masili had great contributions to Islamic knowledge, which were characterized by originality and creativity. The importance of the work lies in the

fact that it deals with two very important books: Al-Nnasiiha fi Sharh Al-Bukhari and Al-Amwal.

In my study, I will try to shed light on the efforts of the Sheikh and unveil his scientific and cognitive influence by answering the following question: What distinguished the scientific production of Al-Daoudi and what are the levels of his influence in the history of Islamic knowledge in Africa?

The study method is descriptive and analytical.

The key words : Al-Daoudi, Maliki jurisprudence, hadith, Al-jaami' Assahiih, Al-Bukhari

**المؤلف المرسل: الباحثة: رقية رقاز**

**مقدمة**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع سبيله واهتدى بهداه. أما بعد،

جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية، فهي تُساير الواقع المعاش للناس رفعا للحرج والمشقة. ويتمثل دور علماء الأمة في تشخيص الوقائع وإيجاد الحلول من الكتاب والسنة، وقد كان لعلماء الجزائر عظيم الأثر في نشر العلوم الإسلامية ومن بينهم العلامة المالكي أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الذي عاين ظلم حكام الدولة العبيدية خاصة من الناحية الاقتصادية، ما حزّ في نفسه ليعالج المجتمع ويحارب الفساد بالعودة إلى الشريعة التي ضمّنها مؤلفاته. ولئن كانت جهوده التأليفية ضاعت إلا أن العلماء حافظوا على نصوص كثيرة ضمنوها مؤلفاتهم في الفقه والحديث والتفسير وغيرها من الفنون.

- **الإشكالية**

موضوع الدراسة دقيق ويسير تكمن مشكلته في ما نجهله من سيرة هذا العالم الفذ ونحاول الكشف عنه من خلال الإجابة عن السؤال الرئيسي: **ما هي جوانب التميز في الإنتاج العلمي لأحمد بن نصر الداودي ومستويات تأثيرها في تاريخ المعرفة الإسلامية في قارة إفريقيا؟**

ولتتسنى لنا الإجابة عن هذه الإشكالية نمر أولا بالإجابة عن بعض الفرضيات التي ستكون لاحقا نتائج دراستي:

- من هو هذا العَلَم الفذ وفي أي علم برز؟
- في ماذا تبلورت جهوده الحديثية والفقهية؟
- ما هي سمات منهجه في شرح صحيح الموطأ وتأليف كتاب الأموال؟

- **الأهداف**

لكل دراسة أهداف تصبو إليها، ودراستي هذه تعددت أهدافها وتنوعت مقاصدها، لعل أبرزها:

- ربط الجزائريين بمرجعيتهم الدينية والعلمية والوطنية.
- الوقوف على الامتداد المعرفي لشخصية وطنية بارزة.
- الوقوف على الخصوصيات العلمية الجزائرية.
- فتح الباب أمام الباحثين لإنجاز المذكرات والأطروحات من صلب التراث الوطني.

- **المنهج**

سأحاول السير في دراستي على المنهج الوصفي عند تناول ترجمة الإمام وإنجازاته العلمية الحديثية والفقهية، وأدعمه بالمنهج التحليلي.

**الباحثة: رقية رقاز**

## 1. الحياة الشخصية والعلمية للإمام الداودي

### 1.1. نشأته:

إن الباحث في شخصية الإمام يصطدم بشحة التراجم في عرض تفاصيل حياته مما لا يشفي غليله إلا بتلك الإشارات التي يُفهم منها أنه: العلّامة الفقيه الجزائري أبو جعفر، أحمد بن نصر الدَّاوُدِيّ الأسدي المسيلي الطرابلسي التلمساني، من أئمة المالكية بالمغرب، وأصله من المسيلة التي كانت تسمى قديما "المحمدية" نسبة إلى من بناها، وهو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفاطمي (العبيدي). وإليها نسبه ابن خير الإشبيلي (575 هـ) في فهرسته، وكذلك القاضي عياض مع ما بدا عليه من تردد في نصه عندما عرفه قائلا: «... أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة». (القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي: د/ت، ص: 633.) (محمد بن خير الإشبيلي: (1984) ص: 76).

نشأ كبقية أترابه وسط عائلة متدينة متوسطة من أصول عربية، هاجرت من الجزيرة العربية لتستقر في إفريقية تونس والمغرب العربي. حفظ القرآن الكريم وأخذ نصيبا من السنة النبوية، واهتم باللغة وعلومها، ودرس بعض كتب الفقه ليتوسع في دراسة المذهب المالكي وعلوم الحديث، كان له حظ في علم الكلام والتصوف والنظر ونبغ فيها. وبداية طلبه العلم كانت في طرابلس الغرب، فصار واحدا من أبرز أئمة المالكية بالمغرب المتسعين في العلم وكان مجيدا في التأليف. (عبد الباسط باعلي، محمد بوركاب: (2022) ص: 20) (قاسم علي سعيد: (2002)، ص: 291-292.) (حياة عبيد: (2011)، ص: 60) (أحمد بن نصر الداودي، د/ت، ص: 05)

أقام عمرا في طرابلس طالبا للعلم ثم شيخا، قال ابن فرحون: «وبها أصل كتابه في شرح الموطأ». ثم انتقل إلى مدينة تلمسان غرب الجزائر، وألّف بها معظم كتبه، وحظي باعتبار سلطان المدينة وكان قدوة لتلاميذه وأغلبهم من الأندلسيين،

ولم يغادرها إلى غيرها إلى أن وافاه الأجل فيها. ولعله فضّل تلمسان على القيروان والمسيلة؛ لأنهما كانتا مسرحا لكثير من الصراعات، وكلاهما تحت سلطة الموالين للعبيديين، على عكس تلمسان التي سلمت من قيود سلطتهم آمنة مستقرة؛ فاختارها الداودي موطنا له. (الحسين بن محمد شواط: (1411هـ) ج: 02، ص: 795.) (عبد العزيز الصغير دخان، ص: 50).

عاش الشيخ حياته في الدفاع عن العقيدة وسخر قلمه لذلك، وكان متمسكا بالسنة النبوية والمذهب الأشعري، متورعا عن طرق أبواب الحكام فكانت الحجة والبرهان سبيله للجهاد. وكان مالكيا مجتهدا غير متعصب لإمامه مالك فقد خالفه في بعض اجتهاداته. (أحمد بن نصر الداودي، (2008)، ص: 30-31)

### 2.1. شيوخه

عُرف الإمام أحمد بن نصر الداودي بفصاحة لسانه وحظه من الجدل وطول باعه في الحديث والنظر. وإنكاره على علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وأنحى باللائمة عليهم لبقائهم تحت سلطتهم، حتى إنه حكم بكفر من يقف معهم، ولم يرخص في التعامل معهم إلا الضرورة المؤقتة. ما أغضب علماء المغرب عليه وكان رد القيروانيين منهم شديدا فقالوا: «اسكت لا شيخ لك» وبرروا موقفهم بحاجة عامة المسلمين إلى بقائهم هناك تثبيتا لهم على الإسلام وحفاظا على الإيمان، وإن خرجوا لشرَّق من بقي في القيروان، فاختاروا خير الشرين. (القاضي عياض، ص: 623)

ومن هنا وُصف تحصيله العلمي بالعصامية كما بين القاضي عياض ذلك بقوله: «أي، لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه». ونسب محمد بن محمد مخلوف علمه إلى إدراكه وذكائه، وقال ابن فرحون: «وكان درسه وحده». (محمد بن محمد مخلوف، (1349هـ)، ص: 111) (ابن فرحون المالكي، ص: 166)

لكن لا يصح أن نحكم على الإمام من هذه الأقوال على أنه لم يكن له شيوخ تتلمذ على أيديهم حقيقة كما توهم البعض، إنما يمكن أن نقول إنه لم يحظ بوفرة من الشيوخ والمعلمين المشهورين، أو لم تطل ملازمته لهؤلاء العلماء المغمورين بحيث لم تشتهر تلمذته على إمام منهم. وقد توفرت بعض الأسماء في كتب التراجم أذكر منها اختصارا: (بو شنقة رقية، داودي سلمى، (2018/2017)، ص: 39)

- إبراهيم بن خلف: من الأندلس، روى عنه الداودي، وحدّث هشام بن عبد الرحمن بالموطأ عن الداودي عن شيخه إبراهيم. (ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي، (1995) ص: 115)
- إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق الزبيري (359ه): المعروف بالقلانسي، فقيه فاضل، عالم بالكلام والرد على المخالفين فوضع كتابا يرد فيه على الرافضة، وله مؤلف في الإمامة. (عبد العزيز دخان، (2021)، ص: 420)
- ربيع القطان بن عطا الله، أبو سليمان القرشي (333ه): كان لسان إفريقية في وقته في الزهد والرقائق والأدب والشعر، تفقه عنده الداودي ولازمه، ومات في جهاد بني عبيد. (خريف زتون، (2007)، ص: 05).
- محمد بن سليمان النِّعالي، أبو بكر (380ه): قال البُرزُلي: «نقل المازري عن الداودي في (النصيحة) عن النعالي: يسقط فرض الحج عمن أراده، وإن لم يحرم» وهذا يوحي بأنه سمع من النعالي. (أبو القاسم بن أحمد البرزلي، (2002)، ص: 592.)

وجمع الإمام أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي في فهرسته جميع روايات الداودي عن شيوخه، وذكر أسانيده التي تصله بالداودي. ومما نلاحظه أن الإمام تأثر بشيوخه في شدة موقفه من بني عبيد والموالين لهم.

وإذا فرضنا صحة ادعاء علماء القيروان وما فهمه القاضي عياض سنقف عاجزين عن تبرير رحلة الشيخ إلى المشرق مثل بقية معاصريه الطالبين للعلم. وليس مقنعا أن ينبغ أحد في كل هذه الفنون ويذيع صيته في الآفاق ويوثق بعلمه فينتشر ويُعرف بين العلماء وسجله خالٍ من المشايخ الذين أخذ عنهم. (عبد الجبار اليمان، مصطفى وينتن، (2018) ص: 152).

### 3.1. تلاميذه

والمتتبع لتراث الإمام الداودي يجزم أن إمامنا حظي بمكانة علمية مرموقة في عصره لاشتهاره بالاستناد إلى الكتاب والسنة ومناصرة أهل السنة والجماعة في الأصول والمالكية في الفروع. فشد طلاب العلم رحالهم إليه طلبا للتعلم عليه والاستماع إليه والإجازة منه وحمل مصنفاته القيمة، ونمثل لبعض هؤلاء الأجلاء المبرزين بـ:

- أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني، أبو بكر (458هـ): درس رفقة أخيه عمر على الداودي، قال القاضي عياض في ترجمته: «... وكُتُبُ أحمد بن نصر الداودي عنهما» أي إن ابني الشيخ ابن أبي زيد صاحب الرسالة رويا عن الداودي كتبه، ومن هذا القول نستنتج أن عمر درس عنده كذلك. (القاضي عياض ص: 716)
- أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي، أبو القاسم القرطبي (400هـ): وصفه ابن بشكوال بأنه فقيه جليل في الدولة العامرية، كان حافظا للفقه ورأي الإمام مالك. رحل حاجا وطالبا للعلم. استقضى ببطليوس فأحسن السيرة، وخطبهم ووعظهم فأحبوه. (محمد ذياب، (2007)، ص: 21)
- مروان بن علي، أبو عبد الملك البوني: نسبة إلى بونة (عنابة) شرق الجزائر، من علماء الأندلس المتفننين. له مختصر في شرح الموطأ رواه الناس عنه. سمع كبار العلماء ثم لازم الداودي خمس سنوات وأخذ عنه معظم تآليفه، وإليه يرجع

الفضل في حفظها وروايتها. توفي قبل (440هـ). (عبد الرحمن الجيلالي، (1994)، ص: 273-274)

- يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، أبو عمر النمري القرطبي (463هـ): شيخ علماء الأندلس. أجازه الداودي في جميع رواياته ومؤلفاته فقال: «كتب إليّ أحمد بن نصر الداودي بإجازة ما رواه وألفه»، وهذا يدل على أنه لم يدرس على يديه مباشرة وإنما تتلمذ بالمكاتبة المقرونة بالإجازة. (محمد أحمد سراج، علي جمعة محمد، (2006)، ص: 43)

### 4.1. مؤلفاته

خلّف الداودي مصنفات في علوم مختلفة وهي ذات قيمة علمية عظيمة، ولكنه برز وأبدع في الفقه والحديث والنظام المالي والاقتصاد مما كان يدخل في الفقه سابقا، ومنها ما كان في أصول الفقه والعقيدة، وذُكر له تسعة مؤلفات هي:

1- **الواعي في الفقه**: مفقود ولكن يغلب الظن أنه في الفقه المالكي.

2- **النامي في شرح الموطأ**: ألفه في طرابلس وأملاه على تلاميذه هناك. اعتمده شراح الموطأ خاصة الزرقاني لكثرة نقولاته منه، وما زال مخطوطا.

3- **النصيحة في شرح البخاري**: مفقود، شرح فيه صحيح البخاري كاملا، وقد اعتمد عليه ابن حجر كثيرا.

4- **الأموال**: من أوائل ما أُلف في المالية والاقتصاد. يبرز الموارد المالية لبيت مال المسلمين وحكم أرض الخراج. (عبد الباسط باعلي، محمد بوركاب، ص: 22)

5- **الإيضاح في الرد على البكرية**: مفقود، جاء ردا على الطائفة البكرية التي يمثلها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري مدعي رؤية الله تعالى يقظة. صنف الكتاب أول كتاب في الأدب الصوفي بالمغرب الوسيط. (الطاهر بونابي، (2004)، ص: 12)

6- **البيان**: مفقود ويُعتقد أنه في أصول الفقه.

7- **الأجوبة**: كتاب في الفقه لا يزال مخطوطا.

8- **الأصول**: مفقود، ويغلب الظن أنه في أصول المذهب المالكي.

9- **تفسير القرآن**: ممن نقل منه عبد الرحمن الثعالبي صاحب الجواهر الحسان وقد أكثر من العزو إليه، وصرح بذلك قائلا: «ومهما ذكرتُ الداودي في هذا المختصر، فإنما أريد أحمد بن نصر المالكي، ومن تفسيره أنا أنقل». (عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، (1997)، ص: 69)

الملاحظ أن كتب أحمد بن نصر الداودي لم يصل إلينا منها إلا ما نذر، ولعل السبب في ذلك راجع إلى الأحداث السياسية السائدة في ذلك العصر.

## 2. جهوده الحديثية

يصنف أحمد بن نصر الداودي من أوائل شراح صحيح البخاري من حيث شرح ألفاظه ومعانيه، وكان منطلق الشراح من بعده يستشهدون باستنباطاته للأحكام الشرعية، نحو ما نقله ابن حجر من حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أخذ أموال الناس يريد أداها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله) قال الداودي: «فيه أن من عليه دين لا يعتق ولا يتصدق، وإن فعل رد». (ابن حجر العسقلاني، (1379هـ)، ص: 54)

### 1.2. الدراسة الإسنادية في شرح صحيح البخاري

عُرف الإمام بأنه صاحب باع طويل في علم الرجال وعلم الإسناد، وقد اهتم بضبط الأسماء المبهمة سواء وردت في سند الحديث أو متنه، ومن أمثلة ذلك: اسم أم أسماء بنت أبي بكر؛ قتيلة بنت عبد العزّى بن سعد من مالك بن حِسْل الوارد في باب الهدية للمشركين، ذكر ابن حجر ضبط الداودي لاسمها وتوجيهه،

فقال: «... وأما قول الداودي: إن اسمها أم بكر، فقد قال ابن التين: لعله كنيتها». (ابن حجر العسقلاني ص: 275-276)

كما عمل على إطلاق الأحكام على الأحاديث والمرويات، مبديا آراءه مؤكدا بذلك رسوخه في الصناعة الحديثية، كقوله: «الإسقاط فيه من البخاري، فوجوده في رواية شيخه وشيخ شيخه يدل على ذلك» أو قوله: «وكأن راوي هذا الحديث ركب شيئا على غير أصله» وقد علق مثلا على حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه فيه أن أعرابيا حين سمع أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيا، أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع». فعلّق بأن «قوله: "قرشيا" وهم؛ لأنه لم يكن لأكثرهم زرع». (ابن حجر العسقلاني: 437) (البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ص: 826) (ابن حجر العسقلاني، ص: 496)

### 2.2. الدراسة المتنية في شرح صحيح البخاري

كان البخاري شديد العناية بالتراجم ومبدعا في إيرادها. وكانت مهمته بيان علاقة الترجمة بأحاديث الباب ومدى مطابقتها لها، وتنوعت آراؤه في ذلك فكثيرا ما نجده يوافق البخاري كتأييده لما بوب له الشيخ في كتاب الوصايا على حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما «أن أباه استشهد يوم أحد...» بقوله: «باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة». فنافح الداودي عن هذه الترجمة بقوله: «لا خلاف بين العلماء في حكم هذه الترجمة أنه جائز». وقد اكتفى ابن حجر في شرحه بإيراد رأيه دون تعليق عليه. (البخاري، ص: 1023) (ابن حجر العسقلاني، ص: 484)

وأحيانا أخرى نراه يعترض على صياغة ترجمة البخاري، ويقترح صياغة أخرى يراها أنسب وأكثر تطابقا، فقد بوب البخاري حديث الأعرابي الذي ولدت له امرأته غلاما أسود فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (فلعل ابنك هذه نزعه

عرق) لم يجد الداودي هذه الترجمة مطابقة لما تحتها فنقل ابن حجر اعتراضه: «تبويب البخاري غير معتدل، ولو قال: ما جاء في ذكر ما يقع في النفوس عندما يرى ما ينكره، لكان صوابا». (صحيح البخاري، ص: 2511) (ابن حجر العسقلاني، ص: 175)

ومن منهجه في شرحه ضبط لفظ متن الحديث وخصوصا الغريب، وبيان أثر ذلك في معناه، ومثال ذلك ضبطه ألفاظ حديث: (... ألم تر الجن وإبلاسها، ويأسها من بعد إنكاسها) فنقل ابن حجر شرحه: «ووقع في شرح الداودي بتقديم السين على الكاف، وفسره بأنه المكان الذي ألفته... والإنكاس الإقلاب». ومن أمثلة عنايته بتفسير غريب الحديث ما جاء في كتاب الأشربة "باب شراب الحلواء والعسل" فسر الداودي الحلواء بأنها: «النقيع الحلو». وطريقته في الشرح بأنه يشرح الكلمة بما تستلزمه من معنى، لا بردها لأصولها اللغوية. (صحيح البخاري، 1403) (ابن حجر العسقلاني، ص: 215-219) (صحيح البخاري: ص: 2129) (ابن حجر العسقلاني، ص: 81)

### 3.2. استنباط فقه الحديث

ثمرة علوم الحديث وبه قوام الشريعة، ويعد الداودي من السابقين إلى هذا العلم بممارسته الاستنباط الفقهي من الأحاديث وفق منهجية خاصة يمكن تلخيصها فيما يأتي: (الحاكم النيسابوري، (2003) ص: 246)

- التزامه بالحديث إذا صح سنده، ولو خالف مذهبه المالكي.
- ميله إلى الأخذ بظاهر الحديث.
- الاعتماد على آثار الصحابة والتابعين.

مثال ذلك ما رواه حكيم بن حزام أنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته ثم قال لي: (يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم

يبارك له فيه. وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)». (صحيح البخاري، 5/4)

قال الداودي: «ليست السفلى والعليا المعطاة والمعطية بغير مسألة، وإنما هي السائلة والمسؤولة، وليست كل سائلة تكون خيرا من المسؤولة، وإنما ذلك لمن سأل وأظهر من الفقر فوق ما به، وأما عند الضرورة أو ليكافئ، فليس من ذلك وقد استطعم الخضر وموسى أهل القرية». واستطاع استنادا إلى هذا الحديث تقسيم أنواع المسألة وعد هذا المثال من المسألة المكروهة وهي التي لا تحرم ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى حكيما مرات؛ لأنه من المؤلفة قلوبهم، ولو كان حراما لما فعله صلى الله عليه وسلم. ونلاحظ استدلاله بقصة موسى عليه السلام تقريبا للصورة وتقوية للحكم الذي استنبطه. (زين الدين أبو الفضل، ص: 76)

3. جهوده الفقهية

1.3. نماذج من فتاواه

- نماذج من فتاواه في كتب المالكية

❖ قوله في فتوى الإمام مالك في الدم القليل لو كثر يُغسل أنه «لم يرد بذلك اليسير جدا لأنه قد قال لا يغسل دم البراغيث إلا أن ينتشر فدل هذا على أن اليسير جدا ليس على المكلف غسله». (الحاكم النيسابوري، ص: 119)

❖ سئل عن أول الصحابة موتا فأجاب: «أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، طعنها أبو جهل في قبلها فماتت منه». (سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، (1413هـ)، ص: 504)

❖ سئل عمن صاحب حدثا، يأخذ عليه الدراهم في الفساد، ثم أراد أحدهما التوبة، فقال: «يقال لمن أراد ذلك ما توليت قبضه فعليه غرمه ورده إلى من أعطاك، وما لم تتولّ قبضه، ولا انتفعت به فهو على من أخذه، وإن لم يعرف

أربابه، ولا عرفوا أو أليس منهم، تصدق به عليهم.» (سراج الدين الأنصاري ص: 551)

- مخالفته للإمام مالك

لم يكن الشيخ أبو جعفر مقلدا، فكان يعرض أقوال المذهب وهو يدرسها على السنة المتمكن منها تدقيقا وتمحيصا واجتهادا، وكان ينافح عن إمامه عند مخالفته للحديث الصحيح، فيعتذر أحيانا بأن الحديث لم يبلغه، وعدّ ابن تيمية هذا العذر مما يرفع الملامة عن الأئمة، فإن الإحاطة بأحاديث النبي كلها لم تحصل لأحد من الأئمة، وبهذا يتفاضلون، وأحيانا يخالفه لأن الحديث لم يصح عنده؛ «لأن محدثه، أو محدث محدثه، أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده، أو متهم أو سيئ الحفظ. وإما لأنه لم يبلغه مسندا بل منقطعا، أو لم يضبط لفظ الحديث مع أن ذلك الحديث قد رواه الثقات لغيره بإسناد متصل» فبعد انتشار الأحاديث كانت تصل الأئمة من طريق ضعيفة وتصل غيرهم من طرق صحيحة، فتكون حجة من هذا الوجه، مع أنها لم تبلغ من خالفها من الوجه الآخر ومما خالف فيه الداودي إمامه أن مالكا خالف الحديث الصحيح الذي يقتضي النهي عن تحنيط الميت وتغطية رأسه إذا مات محرما على أن يحنطه غير محرم؛ لأنه يرى أن الإحرام ينقطع بالموت، فيصنع بالميت ما يصنع بالحي، ولأنه خالف حديثا صحيحا خالفه الداودي بعذر أن الحديث لم يصله. (ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقي الدين، ص: 18-19) (مالك بن أنس، (1994)، ص: 262) (ابن حجر العسقلاني، ص: 137)

كان الداودي وخاصة في كتابه الأموال يميل كثيرا إلى ترجيح ما هو خلاف مذهب مالك، ولا يتردد في ترجيح مذهب إمامه إن تبينت قوة دليله ووجاهته.

### 2.3. تنصيصه على أدلة المالكية وبيان أوجه الاستدلال بها

إن من أبرز خدمات الإمام الداودي للمذهب المالكي تنصيصه على دليل المالكية في المسائل المبحوث فيها، وبيان وجه الاستدلال عليها، وهذا ساهم في توضيح بعض أدلة المذهب المالكي وطرق الاستدلال على المسائل، وسأكتفي بمثال مشهور هو اختلاف العلماء في صيام من أكل أو شرب ناسيا، هل عليه قضاء أو لا، والجمهور على صحة صيامه وعدم وجوب القضاء استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه) ، أما المشهور من مذهب الإمام مالك فهو بطلان صومه مع وجوب القضاء، وهذه مخالفة صريحة للحديث الصحيح، وهو ما دفع الداودي للاعتذار عنه لسببين فقال: «لعل مالكا لم يبلغه الحديث، أو أوّله على رفع الإثم». (صحيح البخاري، 31/3) (ابن حجر العسقلاني، ص: 119)

والتأويل برفع الإثم أصل عند الإمام مالك لأن خبر الواحد إذا جاء بخلاف القواعد لم يعمل به، وهذا الحديث رآه الإمام موافقا للقاعدة في رفع الإثم ولا يوافقها في عدم بقاء العبادة بعد ذهاب ركنها فلا يعمل به. وهذا عذر معمول به. (الحبيب بن طاهر، (2007)، ص: 119)

### 3.3. منهجه في كتاب الأموال

يدرس الكتاب العديد من المسائل والنوازل الواقعة في بلاد المغرب والأندلس، وبيان كيفية فتحها وحكمها الشرعي وتقسيم أموالها، الأمر الذي يصعب الحصول عليه في كتاب آخر من كتب المذهب المالكي، فضلا عن غيرها. وما يرفع من قيمة كتابه هي تلك الردود التي قدمها عمن سبقوه، خاصة مع قوة مناقشته القائمة على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة بالدرجة الأولى ثم إذا تعذر ذلك يكون الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين، ومن خصوصية كتابه: (عبد العزيز دخان، ص: 431- 432) (حياة عبيد، ص: 72-74)

- إيراد الحكم في عنوان الفصل، ثم يورد الأدلة التي تدعم ذلك، يليها الرأي المخالف ليناقشه منتهيا إلى إثبات رأيه الراجح.
- إفراد الكلام على موضوع واحد، واستيعاب كل ما يتعلق به من أحكام وأدلة وأقوال حتى لا يعود إليه لاحقا، فتجنب بذلك التكرار. مع غياب الإحكام المنطقي في ترتيب الموضوعات لانشغاله بتأكيد أهدافه العملية.
- الحرص على الاستدلال بالحديث الصحيح الثابت وإن كان معارضا لمذهب الإمام مالك، وإن كان يؤيده يؤخر الإشارة إلى ذلك حتى ينتهي من ذكر الحديث. ولا يكتفي بالإشارة إلى ضعف سند الحديث، وإنما ينقد متنه بعرضه على الواقع وبيان مخالفته له.
- تخصيص الفصل الأخير لموضوع الكفاف والفقر والغنى وهو لم يسبق إلى ذلك، وخصص فصلا آخر للأرض المغصوبة من طرف الولاة والعمال ليبرز الأحكام الشرعية المتعلقة بها.
- لم يخلُ أي موضوع من مناقشاته العلمية أو ترجيحاته أو انتقاد الأخطاء وتصويبها، سواء داخل المذهب أو خارجه، وإثباته الآراء المخالفة وتوجيهها آكد لرأيه من تجاهلها. ولا نجد تقريره للأحكام الشرعية جافا وإنما يدعمه ببعض الروايات والأحداث من العصور الإسلامية المثالية، تحريكا لعواطف المتلقي وإثارة مشاعره.
- التصدي لإجابة جملة وافرة من الأسئلة التي كانت ترده مما يقع في عصره من النوازل والحوادث، ولا عجب من انتصاره للمذهب المالكي لكن بالدليل الصريح.

الهدف الرئيس لهذا الكتاب هو توضيح الأزمة المالية التي عايشها المغرب الإسلامي آنذاك، وسياسة الحكام التي كشفت الحاجة إلى صياغة نظام مالي جديد برؤية مختلفة مستندة على معطيات الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، تقدم حلولا جديدة ملائمة تحد بقوة العلم والتنظير والفتوى

الشرعية استيلاء الحكام والأمراء وعمال الدولة الفاطمية على الملكية الخاصة للأفراد والاعتداء على الأرض الخراجية.

ساهم الداودي في تشكيل أساس فقهي يحمي حقوق أصحاب الأراضي ويمنع الحكام من مطاردتهم وطردهم ولا حق لهم في ذلك، فهو يقيم حقهم في هذه الأراضي على أساس من قاعدة "الفتح صلحا" أو قاعدة "العمارة والإحياء" بعد ترك أصحابها الأصليين لها. (حياة عبيد، ص: 73)

**خاتمة:**

بلغت بهذا نهاية صفحات ورقتي البحثية ومع ذلك لم أستطع أن أوفي الإمام حقه، واجتهدت لتسليط الضوء على بعض مساهماته العلمية في العالم الإسلامي، فقد كان بحق بارعا في التأليف الحديثي والفقهي، وأبرز النتائج التي خلصت إليها:

- الإمام أحمد بن نصر الداودي علم من أعلام المذهب المالكي، وواحد من علماء الجزائر الذين خدموا السنة النبوية، أثبت تمرسه في الصناعة الحديثية والفقهية، ما يبرر احتفاء العلماء بنصوصه، فلا يكاد يخلو كتاب في الفقه والحديث من أقواله.
- رد ادعاء المشككين في تحصيله العلمي وإثبات عدد من شيوخه.
- سبق الشيخ في شرح صحيح البخاري في المغرب العربي، وبراعته في المزج بين الدراستين الإسنادية والمتنية، مع تعقيباته على الإمام البخاري.
- موضوعية الشيخ وعدم تعصبه لمذهبه الفقهي، ومراعاته للدليل الشرعي فيدور مع الحديث الصحيح حيثما دار.
- مساهمة الداودي الفعالة في فقه الواقع من خلال كتابه (الأموال) الذي يعد مصدرا مهما للأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات المالية، زاخرا بالنظريات الاقتصادية الناجعة.

رغم ما ذكرته وما تجاوزته من معلومات إلا أن الكثير من تفاصيل حياة الداودي وجهوده العلمية ما زالت غير معروفة لنا، وهذا ما يتطلب جهودا بحثية مكثفة تميط اللثام عما خفي عنا، وهذا واجب طلاب العلم خاصة الجزائريين للنهوض بعلمه ودراسة آثاره في مختلف الفنون، لا سيما أن بعض كتبه ما زالت مخطوطة وتحقيقها كفيل بإشباع جزء كبير من فوضلنا العلمي.

**قائمة المصادر والمراجع**

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقي الدين، *رفع الملام عن الأئمة الأعلام*: الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- ابن فرحون المالكي، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*: مصر، دار التراث للطبع والنشر.

- الإشبيلي، محمد بن خير (1984) *الفهرست*: ط: 01، بيروت، دار الكتب العلمية.

- باعلي، عبد الباسط، بوركاب محمد (2022) واجبات ولي الأمر عند الإمام الداودي من خلال كتابه الأموال "دراسة نظرية تطبيقية": *مجلة أبحاث*، مج: 07، ع: 01 ص: (19-33)
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/435/7/1/189980

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري "الجامع الصحيح"*.

- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد (2002) *فتاوى البرزلي = جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام*: ط: 01، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

- بو شنقة رقية، داودي سلمى (2018/2017) أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت402هـ/ 1011م) حياته وآثاره: (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة).

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A7%D9%88%D8%AF%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D9%84%D9

%8A-402%D9%87-1011%D9%85-
%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87-
%D9%88%D8%A7%D8%AB%D8%A7%D8%B1%D9%87-pdf

- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (1997) *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*: ط: 01، القاهرة، دار التراث تونس المكتبة العتيقة.

- الجيلالي، عبد الرحمن (1994) *تاريخ الجزائر العام*: ط: 07، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (2003) *معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه*: ط: 01، لبنان، دار ابن حزم.

- الحبيب بن طاهر (2007) *الفقه المالكي وأدلته*: ط: 05، لبنان، مؤسسة المعارف.

- خريف زتون (2007) سمات منهجية في شرح الداودي على صحيح البخاري: مجلة البحوث العلمية والدراسات الأكاديمية. ص: (263-295).

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/142613

- الداودي، أحمد بن نصر (د/ت) *الأموال*: الرباط، مركز إحياء التراث المغربي.

- دخان، عبد العزيز (2021) الإمام أبو جعفر الداودي ومنهجه في كتاب (الأموال): *مجلة المعيار*، مج: 25 ، ع: 53. ص: (412-439)

https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/90/25/1/143804

- دخان، عبد العزيز الصغير، *موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي، المسيلي، التلمساني، المالكي، في اللغة والحديث والتفسير والفقه*: طبعة خاصة، وزارة الثقافة (الجزائر)، دار المعرفة الدولية.

- ذياب، محمد، (2007) *الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (دراسة تحليلية لكتاب الأموال)*: (مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة).

- زين الدين، أبو الفضل: *طرح الترتيب*: لبنان، إحياء التراث.

- سراج الدين، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري (1413ه) *المقنع في علوم الحديث*: ط: 01، السعودية، دار فواز للنشر.

- شواط، الحسين بن محمد (1411ه) *مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس والعشرين*: ط: 01، بيروت، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

عبيد، حياة (2011) الداودي التلمساني المالكي وكتابه "الأموال" مساهمة في التنظير للمالية العامة وإصلاحها: *مجلة البحوث والدراسات*، ع: 11. ص: (59-82) https://www.asjp.cerist.dz/en/article/25708

- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (1379ه) *فتح الباري شرح صحيح البخاري*: بيروت، دار المعرفة.

- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (1347ه) *هدي الساري "مقدمة فتح الباري"*: ط: 01، مصر، إدارة الطباعة المنيرية.

- القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*: بيروت، منشورات دار ومكتبة الحياة.

- قاسم علي سعيد (2002) *جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، رجال المالكية، من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*: ، ط: 01، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء العلوم.

- القضاعي، ابن الأبار أبو عبد الله (1995) *التكملة لكتاب الصلة*: لبنان، دار الفكر للطباعة.

- مالك بن أنس (1994) *المدونة*: ط: 01، لبنان، دار الكتب العلمية.

- محمد أحمد سراج (2006) *مقدمة تحقيق كتاب الأموال للداودي*: ط: 02، مصر، دار السلام للطباعة والنشر.

- مخلوف، محمد بن محمد مخلوف (1349هـ) *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*: القاهرة، المطبعة السلفية.

- اليمان عبد الجبار، وينتن مصطفى (2018) فقه الواقع عند الإمام الداودي ظاخرة التسول نموذجا: *مجلة الشهاب*، مج: 04، ع: 01. ص: (149-172).
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50238